مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية
ISSN:2716-8131

المجلد الأول العدد الثاني
أكتوبر 2020

المدرسة الوضعية التطور و الخصائص

يمينة جداوي

جامعة يحي فارس المدية، ydjeddaoui@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/08/05 تاريخ القبول: 2020/09/12 تاريخ النشر: 2021/01/05

الملخص:

انتقل التاريخ من نطاق الهوايات أو الآداب الى نطاق العلوم ذات الأصول والمناهج. وخضع التاريخ لهيمنة الوضعيين أواخر القرن 19 والذي تميز في اسقاط القوانين الخاصة بالعلوم الطبيعية على الانسان، فقد تميزت تلك الفترة بسيطرة العلوم التجريبية على جل القضايا. وقد أصبح شبه اتفاق بأن البحث التاريخي وتفسير التاريخ ينتهج نفس الطريقة العلمية في البحث عن الأصول، ولكن مما لا شك فيه ان تجريبية التاريخ تختلف عن العلوم. وتعد ألمانيا الموطن الأصل لتلك المدرسة.

وتبدأ خطواتها بالبحث في الوثائق المكتوبة والعمل على حفظها وصيانتها في المتاحف والمكتبات... ثم يقوم المؤرخ بنقد الوثائق على المستوين الداخلي والخارجي. ثم التأليف. والاهتمام بكتابة الهوامش والحواشي أسفل الصفحات أو في نهاية ورقته التاريخية. واستخدام الرسم البياني والاحصائي. ثم اثبات وجهات نظر المؤرخ وتحرره من انتماءاته السياسية والثقافية.

وتتميز بحياد المؤرخ التام تجاه الأحداث التي يكتب عنها. فالتاريخ هو بمثابة المرآة العاكسة للماضي وعلى المؤرخ تسجيل الحدث بكل تجرد وموضوعية.

ومن عيوبها سقوطها في التحزب والقومية. فهذه المدرسة التي كانت تدعو نظريا الى الموضوعية المطلقة كرست في الواقع انتاجها لخدمة مبادئ الجمهورية الثالثة الفرنسية وتحليل الظاهرة الاستعمارية على ان لها رسالة حضارية. واتهمت أنها جردت التاريخ من شاعريته وجعلته سجلاً جافاً للحقائق المدعمة بهوامش ضخمة من الاشادات الى الأصول والمراجع.

ونستنتج انه في أواخر ق19 ومطلع ق 20 كان هناك جدل قائما حول اعتبار التاريخ علماً أو أدباً، فأصبح له مكانة خاصة في المعرفة الإنسانية بعد ان كان فرعاً ثانوياً. وانتقلت كتابته امن جزئيات التقرب للملوك الى التأكد من أنه علم له استقلالية خاصة به ومنهج وعلماء. فلم يعد هناك شك في علمية التاريخ.

الكلمات المفتاحية:

المدرسة الوضعية . نشأتها . خطواتها . روادها . عيوبها.

Abstract:

History has moved from the scope of hobbies or literature to that of sciences with origins and curricula. In the late 19th century, history was dominated by positivists, which was distinguished by applying the laws that are related to natural sciences on humans. This period was marked by the dominance of experimental sciences in most cases. It has become almost an agreement that historical research and its interpretation follow the same scientific method of the search for origins. However, there is no doubt that the empiricism of history differs from the scientific one. Germany is considered the home of that school.

Its steps start with researching the written documents and working on preserving and maintaining them in museums and libraries. Then the historian will criticize the documents both internally and externally. Then the authorship, and the interest in writing the margins and the footnotes at the bottom of the pages or at the end of his historical paper, in addition to the use of graphs and statistical, then proving the historian's opinions and his liberation from his political and cultural affiliations.

It is distinguished by the historian's total neutrality towards the events he writes. Indeed, history is the reflecting mirror of the past, and the historian must record the event impartially and objectively.

One of its cons is its fall in partisanship and nationalism. In effect, this school, which was theoretically calling for absolute objectivity, has devoted its production to serve the principles of the Third French Republic and analyzing the colonial phenomenon as a civilizational message. It was accused of divesting history from its poeticness and turning it to a dry record of facts that is supported by enormous margins of praises to origins and references.

We conclude that in the late 1800's and the early 1900's, there was an ongoing debate about considering history as a science or literature. Eventually, it took a special place in human knowledge after it was a secondary branch. Its writings shifted from getting close to kings to ensure that it is a science that has its own independency, method, and scholars. Thus, there is no longer any doubt about the science of history.

keywords:

The positivist school. Its origin. Its steps. Its pioneers. Its downsides.

مقدمة:

في عصر النهضة حصل تطور في المفاهيم وهو تأكيد النزعة الإنسانية واحياء وبعث التراث اليوناني والروماني، وقد أدى الى نهضة واسعة، وقام بهذه الجهود مجموعة من المفكرين والعلماء وحصل التطور في المجالين الأول السياسية والثاني التاريخ، وبقيت هذه الحالة قائمة حتى عصر الأنوار حيث ظهرت حركة تاريخية.

ولكن التاريخ الأوروبي لم يأخذ شكله المستقر الى حد ما حتى نهاية القرن 19م حيث أن اتجاهات المدارس التاريخية أخذت قرارها وتبلورت في مناهج عدة.

حيث لا يكتب التاريخ بمنهج واحد بل مناهج عدة، مجموع أنماط طرق الكتابة التاريخية ومقاربتها تكونت المدارس التاريخية التي عرفها بعضهم: « بأنها مختلف الخطابات للمنهج التاريخي ومختلف الأنماط في كتابة التاريخ»

ومن هذه المدارس المدرسة الوضعية التي سنتناولها بالدراسة في هذا البحث.

- فما هي المدرسة الوضعية؟ وكيف نشأت؟ ومن هم أهم روادها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات نتبع الخطة التالية:

مقدمة:

1-نشأتها

2-خطواتها

3-سماتها

4-روادها

5-مواطن قصورها.

- الخاتمة.

1-نشأة المدرسة الوضعية:

الأحداث الضخمة في القرن 19م تعتبر زلازل او ثورة حقيقية في كل الميادين وكان للتاريخ نصيب من هذه الثورة فانتقل التاريخ من نطاق الهوايات أو الآداب الى نطاق العلوم ذات الأصول والمناهج.[1]

وظهرت هذه المدرسة في وقت قويت فيها حركة القوميات بأوروبا في أواخر القرن 19م. وفي إطار الجمهورية الثالثة الفرنسية وعزمها على استعادة منطقة ألزاس – لوران Alsace – lorraine وبرنامجها الاستعماري التوسعي.[2]

وخضع علم التاريخ لهيمنة الوضعين والذي تمثل في اسقاط القوانين الخاصة بالعلوم الطبيعية على الانسان. وتعد ألمانيا الموطن الأصلي لتلك المدرسة فقد تميزت تلك الفترة بسيطرة العلوم التجريبية على حل القضايا، وآمنت هذه المدرسة بان العلم الوحيد هو علم الطبيعة القائم على الرياضيات والتجربة.[3]

فأشاعت مفهوم علمي للكتابة التاريخية يماثل في غرضه أغراض العلوم الطبيعية من حيث اكتشاف قوانين ثابتة للكون سواء في مجال الطبيعة أم في مجال التاريخ.[4]

وقد أصبح شبه اتفاق بان البحث التاريخي وتفسير التاريخ ينتهج نفس الطريقة العلمية في البحث عن الأصول، ولكن مما لا شك فيه أن تجربته التاريخ تختلف عنها في العلوم الصرفة.[5]

2-خطواتها:

فالتاريخ في نظر الوضعيين هو قبل كل شيء انعكاس محتوى الوثائق المكتوبة لرصيد المؤرخ المعرفي، فعلى هذا الأخير:

- البحث عنها والعمل على حفظها وصيانتها في المتاحف والمكتبات العمومية والخاصة ودور الأرشيف وضبطها في فهارس.

-ثم يقوم المؤرخ بنقد الوثائق على المستويين بين الداخلي والخارجي وهذه هي المرحلة التحليلية.

- ثم عملية التأليف والتي تتم عبر مراحل:

1. مقارنة الوثائق
2. تجميع الاحداث في اطر عامة مثل المعطيات الطبيعية والأنشطة الاقتصادية والفئات الاجتماعية والمؤسسات السياسية.

3. إقامة العلاقات بين هذه الاحداث
4. وأخيرا التأليف.[6]

- الاهتمام بكتابة الهوامش والحواشي أسفل الصفحات أو في نهاية ورقته التاريخية
- استخدام الرسم البياني والاحصائي.
- اثبات وجهات نظر المؤرخ وتتحرر من انتماءاته السياسية والثقافية والدينية والقومية وما شابه.[7]

3-سماتها:

- تتمثل مهمة المؤرخ في وصف ما وقع حقيقة في الماضي وليس في تقييم ذلك.
- حياد المؤرخ التام تجاه الاحداث التي يكتب عنها.
- التاريخ هو بمثابة المرآة العاكسة للماضي وعلى المؤرخ تسجيل الحدث بكل تجرد وموضوعية.[8]
- تواجد مؤرخيها ضمن إطار التدريس لمختلف الجامعات وعلى رأس إدارة بعض المجموعات العلمية والتاريخية الكبرى مثل تاريخ فرنسا.
- ساهم هؤلاء المؤرخون في ضبط البرامج التعليمية وتأليف الكتب المدرسية لتلاميذ المعاهد الثانوية والمدارس الابتدائية.
- فغرسوا في الناشئة قيم النظام الجمهوري وتغذية الشعور القومي وتدعيم السياسة الاستعمارية التوسعية وبالتالي حرصوا على تمرير خطاب أيديولوجي معني.

وأفصح رائد هذه المدرسة بفرنسا المؤرخ مونود G.monod في البيان الذي نشره في 1876م بمناسبة صدور العدد الأول من المجلة التاريخية عن مبادئ المدرسة:

- فرض بحث علمي في التاريخ بعيد عن كل المزايدات الفلسفية.
- بلوغ الموضوعية المطلقة في مجال التاريخ وتطبيق تقنيات صارمة في وجود الوثائق ونقدها.[9]

ومن هنا نلاحظ تناقض فهي مدرسة تدعو للموضوعية المطلقة وفي نفس الوقت قامت بتمرير خطاب أيديولوجي في مناهج المدرسة الناشئة.

4-روادهـــا:

وكان فضل تطور علم التاريخ الى المدرسة برلين نيبوهر وقائدها ليو بولدفون رانكه 1795-1886 م leopold van ranke وسابقوه آخرون مثل فيكو [10].

واخذت المدرسة الفرنسية عن المدرسة الألمانية تلك المبادئ وسمات سابقة الذكر خاصة وأن جل أفرادها monod – langlais – seignobos – lavisse قد أقاموا بعص الوقت بألمانيا ودرسوا بجامعتها فنقلوا الى فرنسا أفكار رنكة ونظرياته في كتابة التاريخ ونقد الوثائق، ويعترف مؤرخو المدرسة لفرنسا بالخدمات الجليلة التي قدمها المؤرخون الألمان الى البحث التاريخي أمثال رنك ranke و نيبور niebuhr ممسن mommsen ولاسن lassen وغيرهم وما قاموا به في مجال جمع الوثائق في فهارس متميزة.[11]

ونتحدث عن بعض روادها:

أ–ليوبولد فون رانكه 1795–1886م leo poldvon ranke

ولد رانكه في 21 ديسمبر 1795م في بلدة فيهي wiehe في مقاطعة تورينجن في مملكة سكسونيا، عين أستاذا في جامعة برلين 1825م للدراسات القديمة وتوفي في 23 مايو 1886م في برلين.

كان عميق الايمان بالمسيحية على المذهب اللوثري البروتستانتي وكان مثاليا على مذهب فيخته.

وأهم ما يتميز به رانكه ودعا اليه قوله بأننا ينبغي قبل كل شيء أن نعرف الاحداث والاحوال الماضية كما كانت بالضبط، وهذا دفعه الى الاهتمام بالوثائق ومخلفات الماضي اهتماما بالغا، فلكي نعرف عصراً ينبغي أن نراه في الأصول التي كتبت خلاله لا تلك التي كتبت عنه، وأي شيء أصدق من الوثائق الرسمية وسجلات الحكومية والكنائس والمذكرات. [12]

وأعطى اهتماما كبيرا بالوثائق والمنهج الدقيق الذي وضعه لتنظيمها ودراستها وتسمى مدرسته بالمدرسة الدبلومية نسبة للدبلومات (الوثائق).

وأنشأ اللجنة التاريخية في اكاديمية بافاريا للعلوم وأنشأ المجلة التاريخية السياسية.[13]

ومنهجه هو الالتزام بالموضوعية التاريخية التي سماها بالموضوعية الصارمة. ونظر أيضا للتاريخ على أنه سلسلة من الاحداث المتعاقبة وأن هذه الاحداث تختلف عن بعضها إلا أن لكل منها علاقة بالأخرى وكل ظاهرة انعكاس للأخرى.[14]

ودعا الى تجنب اقحام الاخلاقيات أو التزين والتزويق: أما المستوى المنهج فلسفة التاريخ فهو وضعا في positivisteيؤمن بتقدم الثقافة كمضمون متحرك وفاعل في التاريخ.

وكتب في التاريخ الأوروبي من ق16 حتى 17م.[15]

وعلى أي حال تغير رانكه بشخصيته وحماسه ونشاطه ودأبه على العمل فاتح عصر جديد في تاريخ التأريخ، فقد نقل التاريخ من ميادين الادب والفلسفة والتأملات الى ميدان خاص به فتقررت بصورة نهائية مكانته، فاصبح له شخصية وحدوده ومناهجه وأهدافه وفائدته وأصبحت الجامعات تخصص له كرسي وأنشئت دور المحفوظات ورتبت فيها الوثائق.[16]

ب-أوغست كونت comte. A 1798-1857م:

واضع أسس الفلسفة الوضعية أو (الوضعانية) لقد ادعى كونت أنه اكتشف القانون العام للتطور المناسب ((فلسفة حقة للتاريخ)) فالتطور الاجتماعي إنما هو استمرار للتطور البيولوجي العام ويتجلى قانون التطور في التاريخ في رأيه على مراحل على مستوى الفكر والحياة:

1-المرحلة اللاهوتية أو الخيالية.

2-المرحلة الغيبية الميتافيزيقية أو التجريدية.

3-المرحلة العلمية أو الوضعية positiviste [17]

ويرى كونت أن المرحلة الأخيرة هي التي تسود، على الرغم من احتمال التعايش مابين هذه الحالات الثلاث لأن المسار الواقعي للتاريخ هو في رفض اللاهوتي والغيبي والخيالي بواسطة قدرة العلم على أن يكشف قوانين الأشياء كلها، ومن بينها قوانين الاجتماع البشري، ونجد تطبيقا لفلسفته هذه على المستوى التاريخي ماقام به المؤرخ الإنجليزي توماس هنري باكل T.H.Buckle في دراسته لتاريخ الحضارة في إنجلترا 1857-1867م.

ج-توماس هنري باكل T.H.Buckle:

ومبدأه هو تاريخ سيطرة الانسان على الطبيعة، وعاش باكل في نصف الثاني من ق 19م وشهد ما أنجزه هذا القرن من تقدم في العلوم الطبيعية، فشاء أن ينجز على حد قوله للتاريخ حول الانسان شيئا يعادل ما تم الوصول اليه في مختلف العلوم الطبيعية.

واعتقد باكل أن ثمة قوانين تنظم سير الاحداث وأن أحداث التاريخ ترجع الى ما يحدث من تفاعل بين الطبيعة والعقول البشرية.

ويستنتج أن الأسباب نفسها عملت لأدت من دون مناص الى إحداث نفس النتائج للمرة الثانية.[18]

د–أرنست لافيس A. Lavisse:

وهو فرنسي قاد العمل التاريخي يعتبر عمله أجمل وأوسع عمل جامعي وأتبعه بعمل آخر للمدرسة الابتدائية، وقد لعب دور السلطة الروحية في بلاده.[19]

5–مواطن قصورها:

من قصور المدرسة الوضعية رفضهم النتائج الفلسفية التي تتجاوزها النظريات العلمية الطبيعية التجريبية.

كما أنهم سقطوا في التحزب والقومية[20].

هذه المدرسة التي كانت تدعوا نظريا الى الموضوعية المطلقة كرست في الواقع إنتاجها لخدمة مبادئ الجمهورية الثالثة الفرنسية ونزعتها الاستعمارية بواسطة محتويات المجلة التاريخية.

وكذلك إلى تكريس النظام الجمهوري وتحليل الظاهرة الاستعمارية على أنها رسالة حضارية وتجعل من البلد المستعمر قوة اقتصادية[21] .

ومن النقد الموجه لرانكة:

أن رانكه كان ناقدا يهاجم التأملات والتصورات غير التاريخية ثم ملأ هو كتبه بالتأملات والنظريات الخاصة.

ومن وجوه النقص فيه حماسه للنظام البروسي ولم ير الحد الفاصل بين سعي بروسيا نحو الوصول الى القوة واستخدم هذه القوة للعدوان بعد ذلك.

فاهتم بالتاريخ السياسي العسكري ولم يهتم بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

وكان يقول أنه يسعى في كتاباته الى عرض الحدث فعلا بالضبط كما كان بالفعل، لقد كان لهذا المبدأ أثر سيء في أعمال الكثيرين من المؤرخين الذين تابعوا رانكه، فجعلوا من أنفسهم قضاة لها وحكماء على أهله ومضوا يصدرون أحكاماً تضمنت خطأ كبيراً.

واتهم بأنه جرد التاريخ من شاعريته وجعله سجلاً جافاً للحقائق المدعمة بهوامش ضخمة من الاشادات الى الأصول والمراجع.

فهاجمه مجموعة من المؤرخين منهم دورنج – لورنتس بوركهارت.[22]

الخـــــاتمة:

نستنتج من هذه الدراسة:

ينتمي رانكه إلى ما يسمى بالمدرسة البروسية في التحقيق التاريخي المتبحر وقد استحقت بروسيا هذه التسمية لأنها كانت المركز الأساسي لتاريخ المتبحر في أوروبا في ق18م ففيها نشأت مؤسسات عظيمة للتوثيق والتحقيق.

ونستنتج أنه في أواخر ق19م ومطلع ق 20م كان هناك جدل قائماً حول اعتبار التاريخ علما أم أدباً، وقد سجلت إنتقاله الى مفهوم علمي وكما اتفق هؤلاء الكتاب على أن للتاريخ قوانين محكمة.

ضعف بذلك الجدل حول قراءة التاريخ علماً أم أدباً وأصبح للتاريخ مكانه خاصة بالمعرفة الإنسانية بعد أن كان فرعاً ثانوياً.

وانتقلت كتابه التاريخ من جزئيات مثل التقرب للملوك إلى التأكيد على أنه علم له استقلالية الخاصة به ومنهجه وعلمائه وشجعهم على ذلك التقدم العلمي.

وقد أصبح شبه اتفاق أن البحث التاريخي وتفسير التاريخ ينتهج نفس الطريقة العلمية في البحث عن الأصول، ولكن مما لا شك فيه أن تجريبية التاريخ تختلف عنها في العلوم الصرفة.

وأخير نلخص أن أولئك المؤرخين قد نجحوا في وضع علم التاريخ وضعا جديد أو وفقوا في إقامة منهجية البحث في التاريخ على أسس علمية جديدة بالغة الدقة والضبط دون أن تجرد التاريخ من جانبه الأدبي الذي يعبر عنه بعبارة شاعرية التاريخ فلم يعد هناك شك في علمية التاريخ، ولم يعد هناك كذلك سبيل لكتابة تاريخ صحيح، دون اتباع قواعد المنهجية التاريخية الدقيقة.

الهوامش:

[1] حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دار الرشاد عربية للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، 2001م، ص79.

[2] فريد بن سليمان، مدخل الى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس. 2000 ص104.

[3] http://www.ida2at.com/whatdo-you.know.about.modennhistorical.schools .

[4] وجيه كوثراني، تاريخ التاريخ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط2، قطر، 2013م، ص159.

[5] مفيد الزيدي، منهج البحث التاريخي، دار المناهج، الأردن، 2008م، ص49.

[6] فريد بن سلمان، نفس المرجع. ص 106.

[7] http://www.ida2at.com/whatdo-you.know.about.modennhistorical.schools.

[8] فريد بن سلمان، نفسه. ص 105و106.

[9] فريد بن سلمان، نفس المرجع، ص(104-105).

[10] حسين مؤنس، نفس المرجع، ص79.

[11] فريد بن سلمان، نفس المرجع، ص106

[12] حسين مؤنس، نفسه، ص82.

[13] حسين مؤنس، نفس المرجع، ص84

[14] مفيد الزيدي، المرجع السابق ص 47-48.

[15] وجيه الكوثراني، المرجع السابق، ص.

[16] حسين مؤنس، نفسه، ص85.

[17] وجيه الكوثراني، نفسه، ص 159.

[18] وجيه الكوثراني، المرجع السابق، ص (159-161).

[19] قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1990م، ص31.

[20] http://www.ida2at.com/whatdo-you.know.about.modennhistorical.schools

[21] فريد بن سليمان، المرجع السابق، ص106-107.

[22] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 82-83-85-87.

البيبليوغرافيا:

- المراجع:

1-بن سلمان فريد، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000م

2-الزيدي مفيد، منهج البحث التاريخي، دار المناهج، الأردن، 2008م.

3-كوثراني وجيه، تأريخ التاريخ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط2، قطر، 2013م.

4-مؤنس حسين، التاريخ والمؤرخون، دار الرشاد العربية للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، 2001م

5- يزبك قاسم، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1990م.

- مواقع إلكترونية:

1- http://www.ida2at.com/whatdo-you.know.about.modennhistorical.schools